﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: 14]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

شهوات الدّنيا متع أحلى من الرّضاب، والله عنده حسن المآب

في مناسبَةِ هذه الآية لِمَا قبلَهَا وجهانِ:

أحدُهما: أنَّ الله سبحانه لَمَّا ذكَر عاقبَةَ الْغُرُورِ بِالْمَالِ والوَلَدِ في قولِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾﴾؛ ذَكَرَ هُنَا وَجْهَ هذا الغُرُورِ وسَبَبَهُ؛ تحذيرًا لِلنَّاسِ من أن تَسْتَعْبِدَ الشَّهوَاتُ أَنْفُسَهُمْ، وأن يَنْشَغِلُوا بِهَا عَنْ أمورِ الْآخِرَةِ[1].

والآخَرُ: لَمَّا ذكَرَ اللهُ تعالى أنَّ النَّصرَ مِنْهُ سبحانه، يُؤَيِّدُ به مَن يشاءُ مِن عبادِه، وأنَّ في ذلك عبرةً وعِظَةً لِأَصْحَابِ الْبَصَائِرِ، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾؛ ذَكَرَ في هذه الآية ما هُوَ بمنزلةِ البيانِ والشَّرْحِ لتلكَ العبرةِ والعِظَةِ، وهي أنَّهُ زُيِّنَ للنَّاسِ حُبُّ الشَّهوات الجسمانيَّة، واللَّذَّاتِ الدُّنيويَّة، ثُمَّ إنَّها زَائلةٌ فانيةٌ، تذهبُ لذَّاتُهَا وتبقَى تَبِعَاتُهَا، فينبغِي لأصحاب البصائرِ أن يُؤثِرُوا الباقيَ على الفَانِي[2].

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

1) ﴿زُيِّنَ﴾: الزَّاي واليَاء والنُّون: تدور اشتقاقَاتُهَا على حُسْنِ الشَّيءِ وتحسِينِه، ومِنْهُ: الزَّيْنُ ضدُّ الشَّيْنِ[3]، والتَّزيينُ: التَّحسينُ، ومنهُ

(1) الزُّحيلّي، التّفسير المنير: 3/164.
(2) الرَّازِيّ، مفاتيح الغيب: 7/159 - 160.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (زين).

قولُ اللّه تعالى: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [النَّمل: 4]، أي: حسَّنَّاها بإنظَارِهِم وتركِ معاجَلَتِهم بالعقوبةِ عليهَا[1]، ومنه أيضًا قولُ اللّهِ تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾، أي: حُسِّنَ لهم ذلكَ.

والزِّينَةُ بمعناهَا العامِّ ثلاثَةُ أصنافٍ[2]:

أحدها: نفسيٌّ، كالعلم والاعتِقَادِ الصَّحيح.

وثانيها: بدَنيٌّ، كالقُوَّةِ وطُولِ الْقَامَةِ والجمالِ.

وثالثُها: خَارِجيٌّ، كالْمَالِ والْجَاهِ.

ويُستعمَلُ التَّزْيِينُ استعمالًا خاصًّا على التَّحْسِينِ الْمُدْرَكِ بالحِسِّ دُونَ الْمُدْرَكِ بالعَقْلِ[3].

2) ﴿ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: الشِّينُ والهاءُ والحرفُ المعتلُّ: تدورُ تصريفَاتُهَا على معنَى: الرَّغبةِ الحادَّةِ في مرغوبٍ بدنيٍّ بِسَبَبِ إحساسٍ بالخُلُوِّ مِنْهُ[4]، ثُمَّ عُمِّمَ ذلكَ في المرغوبِ البَدَنيِّ وغيرِهِ، ومنه استُعْمِلَتِ الشَّهْوَةُ في كلِّ ما تدعُو النَّفسُ إليه[5].

والشَّهوة - وجمعها: شهوات - استُعملت في القرآنِ الكريم في غير ما يُمْدَحُ، بخلاف الفِعْلِ مِنْهَا (اشْتَهَى)؛ فقد استُعمِلَ في غير ما يُذَمُّ، فمِنَ الأوَّل: قولُ اللّه تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾، ومِنَ الثَّاني: قولُهُ سبحانه: ﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[6] [الأنبياء: 102].

3) ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾: القناطيرُ: جمعُ قنطارٍ، وقد جعلَهُ جماعةٌ مِنَ الرُّباعِيِّ، كالخَليل[7]، وأصلُ هذه المادَّةِ دالٌّ على تَخَطٍّ بِتَوَالٍ، أي: مرَّةً بعد مرَّةٍ، ومِنْهُ: القنطرةُ، وهي ما يُعْبَرُ به النَّهْرُ ونحوُهُ[8]، والقنطارُ مِنَ المالِ، والقَنْطَرَةُ مِنْهُ: المالُ الكثيرُ، سُمِّيَ بذلك؛ لأنَّ به عبورَ الحياةِ تشبيهًا له بالقَنْطَرَةِ[9].

(1) الجيمريّ، شمس العلوم: (زين).
(2) الرَّاغب، المفردات: (زين).
(3) الرَّاغب، تفسير الرَّاغب: 1/436.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (شهو، شهي).
(5) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/42.
(6) حسن عزّ الدّين الجمل، مخطوطة الجمل: 2/407.
(7) الخليل، العين: (قنطر).
(8) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (قنطر).
(9) الرَّاغب، المفردات: (قطر).

4) ﴿ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾: الْوَاوُ وَالسِّينُ والْمِيمُ: تدورُ اشتقاقاتُهَا على أثرٍ ومَعْلَم، ومنه: وَسَمْتُ الشَّيءَ، أي: أَثَّرْتُ فيه بِسِمَةٍ، ومنه سُمِّيَ موسِمُ الحجِّ بذلكَ؛ لكونِهَ مَعْلَمًا يجتَمِعُ إليه النَّاسُ، والوسامَةُ: الجَمَالُ[1]، وهو ضَرْبٌ مِنَ الْعَلَامَات.

ومِنْهُ قولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾، أي: المُعْلَمَة، وفيه قلبٌ مكانيٌّ، والأصل: المُوَسَّمَة[2]، والمرادُ: "المُعْلَمة بالشِّيات الحسانِ الرَّائِعَةِ حُسْنًا مَن رآها؛ لأنَّ (التَّسْوِيم) في كلام العربِ: هو الْإِعْلَامُ، فالخيل الْحِسَانُ: مُعلَمةٌ بإعلامِ اللهِ إيَّاها بالحُسْنِ مِن أَلْوَانِها وشِيَاتِهَا وهَيْئَاتِهَا"[3].

5) ﴿مَتَٰعُ﴾: الميمُ والتَّاء والعَيْنُ: تدلُّ تصريفَاتُهَا على مَنْفَعةٍ وامتدادِ مُدَّةٍ في خيرٍ وقوَّةٍ وكمالِ حالٍ[4]، ومِنْهُ قولُ اللهِ تعالى: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود: 3] أي: يَبْسُط عَلَيْكُمْ مِنَ الدُّنيا، ويَرْزُقُكم مِنْ زينتِها، ويَنْسَأُ لَكُمْ في آجالكم إِلَى وقتِ وفاتِكُمْ ولَا يَسْتَأْصِلكم بعذابٍ[5].

ومِنْهُ: المَتَاع، وهو في الأَصْل: كلُّ شَيْءٍ يُنتفَع بِهِ، ويُتبلَّغ بِهِ، ويتزوَّدُ[6]، وهو المرادُ في قولِهِ سُبحانه: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

6) ﴿ٱلْمَـَٔابِ﴾: الهمزةُ والواوُ والباءُ تدور اشتقاقَاتُهَا على معنى الرُّجوعِ[7]، تقول العربُ: آبَ الرَّجُلُ؛ إذا رجعَ[8]، ومنه الأوَّاب: وهو الرَّجَّاعُ الَّذي يرجع إلى التَّوبةِ وطاعةِ اللهِ تعالى[9].

والمآبُ: المَرْجِعُ[10]، ومِنْهُ قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾، وحُسْنُ المرجِعِ: الجنَّةُ[11].

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (وسم).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (وسم).
(3) ابن جرير، جامع البيان: 6/254.
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (متع). وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (متع).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 15/229. وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (متع).
(6) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (متع).
(7) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (أوب).
(8) الخليل، العين: (أوب).
(9) ابن الأنباريّ، الزَّاهر: 1/115.
(10) ابن قُتيبة، غريب القرآن، ص: 102.
(11) القِنَّوجيّ، فتح البيان: 2/200.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

حُسِّنَ للنَّاس محبَّة ما يَشْتَهُون مِنَ النِّساء والبَنِين، والأموالِ الكثيرَةِ مِنَ الذَّهب والفِضَّة، والخَيْلِ الحِسَان، والأنعام مِنَ الضَّأنِ والمعزِ والبقر والإبل، والأرضِ المتَّخَذة لِلْغِرَاسِ والزِّراعة، ذلكَ زهرةُ الحياة الدُّنْيَا وزينَتُها الزَّائلةُ الفانيةُ، واللهُ سُبحانه عندَهُ حُسْنُ المَرْجِعِ والثَّواب، وَهُوَ الجنَّةُ[1].

حـبّ شـهـوات الـدّنـيـا زخـرف وتـزيـين، وجنّة الآخـــرة خـيرٌ للمتّقين

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

سَبَبُ فَصْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ عَمَّا قَبْلَهُ:

فُصِلَ قولُهُ تعالَى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ عمَّا قَبْلَهُ؛ لكونِه اسْتِئْنَافًا بيانيًّا، وذلك أنَّ قولَه سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾؛ قُصِدَ منه عِظَةُ المسلمينَ ألَّا يغترُّوا بأموالِهم وأولادِهم كحالِ الكافرينَ، فأورَثَ ذلك سؤالًا: ما سببُ هذَا الاغْتِرَارِ وما وَجْهُهُ؟ فجاء الجوابُ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾، مُبيِّنًا أنَّ سببَ الاغترار التَّحسينُ العارضُ لِلْمَذكورَات، فالكلامُ سيقَ بيانًا لحقارةِ شَأْنِ الحُظُوظِ الدُّنْيَوِيَّةِ بأنواعِهَا، وتوجيهُ رَغَبَاتِهِم إلى ما عندَ اللهِ تعالى بعدَ بَيَانِ عدَمِ انتفاعِ الكافرينَ بها[2].

ربـطُ الْمَنْهِيَّاتِ بِـأَسْـبَـابِـهَـا، مَـدْعَـاةٌ لنبذها واجْتِنَابِها

نُكْتَةُ بِنَاءِ الْفِعْلِ ﴿زُيِّنَ﴾ لِلْمَفْعُولِ:

بُنِيَ الْفِعْلُ ﴿زُيِّنَ﴾ لِمَا لَم يُسَمَّ فَاعِلُهُ، وقد اختُلِفَ في تعيينِ الفاعلِ على قولَيْن[3]:

أحدهما: أنَّ المُزيِّنَ هو اللهُ تعالَى، فيكونُ التَّزيينُ في قولِه: ﴿زُيِّنَ﴾ تزيينَ خَلْقٍ وإيجادٍ، وتهيئةٍ للانتفاعِ بهَا، وخَلْقِ الجِبِلَّةِ في النُّفوسِ على المَيْلِ إلى هذه الأشياءِ.

تَزْيِينُ الشَّهَوَاتِ نَـوْعَـانِ تَـزْيِـينُ خَـلْقٍ وَإِيـجَـادٍ، وَتَزْيِينُ وَسْوَسَةٍ وَفساد

(1) ابن جرير، جامع البيان: 6/243، 254. وطنطاوي، التَّفسير الوسيط: 2/50. ونخبة من العلماء، التَّفسير الميسّر، ص: 51.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 2/14. وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 3/178. والزُّحيليُّ، التَّفسير المنير: 3/164.
(3) القرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 4/28.

والآخَرُ: أنَّ المُزيِّنَ هو الشَّيطانُ، فيكون التَّزيينُ تزيينَ وَسْوَسةٍ وخديعةٍ، وتزيينَ تحصيلِهَا من غيرِ وجوهِهَا المشروعَةِ.

ولا مانِعَ مِن إرادَةِ المَعْنَيَيْنِ معًا، حملًا لِلْمُشْتَرَكِ على معْنَيَيْه - كَمَا هُوَ قولُ الجمهور[1] - فيكون التَّزيينُ في الآية تَزيينَ خَلْقٍ وإيجادٍ بالنِّسبة للّه تعالى، وتزيينَ وسوسةٍ وخديعةٍ بالنِّسبةِ للشَّيطانِ، وعلى القول بعدَمِ جوازِ حمل المشتَرَكِ على معْنَيَيْه؛ يُجْعَلُ التَّزيينُ لِلْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ بينَهُمَا، وهو مُطلقُ الحَمْلِ على محبَّةِ الشَّهواتِ خلقًا وإيجادًا، أو خديعةً ووَسْوَسَةً[2]، ومآلُهُمَا واحدٌ.

ولِحَذْفِ الفاعلِ في بناءِ ﴿زُيِّنَ﴾ لِلْمَفْعُولِ ثلاثُ نِكَاتٍ:

إحداهَا: خفاءُ إدراكِهِ عن عموم المخاطَبين؛ لأنَّه لَمَّا جُهِلَ فاعلُ الدَّالِّ على الغرائزِ والطَّبائعِ عرفًا؛ كان الوَجْهُ إسنادَ أفعالِهِ لِلْمجهولِ، كما في قولهم: عُنِي بكذا، واضْطُرَّ إلى كذا، ولا سيَّما إذا جعلنا لَفْظَ التَّزْيين كنايةً عن لازِمِه: وهو الإغضاءُ عمَّا في المُزَيَّنِ مِنَ المساوئ[3].

ثانيهَا: تعظيمُ الفاعلِ إذا كان المرادُ بالمُزيِّنِ هو اللّه تعالى، وتحقير الفاعلِ إذا كان المرادُ بالمُزيِّنِ الشَّيطانَ الرَّجيمَ[4].

ثالثُها: الإيماءُ إلى أنَّ محبَّة النَّاسِ لهذه المذكوراتِ واشْتِهاءَهَا أمرٌ مَرْكُوزٌ في الطَّبيعةِ الإنسانيَّةِ مُنْذُ خلق اللّه تعالى الإنسانَ في هذه الدُّنيا[5].

دِلَالَةُ اللَّامِ في لفظ ﴿لِلنَّاسِ﴾:

اللَّامُ في ﴿لِلنَّاسِ﴾ مِن قَول اللّه تعَالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ لِلْجِنْسِ المفيدِ استغراقَ أفرادِهِ المندرِجَةِ تحْتَهُ، فهو شاملٌ للأولياءِ والصَّالحين وغيرِهِم، إلَّا أنَّ غيرَ الصَّالحين يَسْتَرْسِلُونَ مع هذا التَّزيينِ فيتَّبِعُونَه، أمَّا أهلُ الإيمان والصَّلاح فلا يتَّبِعُونَ ذلك،

لَيْسَ الْمَذْمُومُ حُبَّ الشَّهَوَاتِ، إِنَّمَا اتِّبَاعُهَا عَلَى غَيْرِ الْوُجُوهِ المعلومات

(1) الشَّوكَانِيّ، إرشاد الفُحول، ص: 59 - 60.
(2) البسيلِيّ، التَّقييد الكبير، ص: 465.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنْوير: 3/180.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 4/269. وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 2/14.
(5) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1132. وطنطاوي، التَّفسير الوسيط: 2/50.

ولا يَرِدُ على هذه الدِّلالَةِ أنَّ النِّساءَ من جملة النَّاسِ، ولم يُزَيَّنْ لَهُنَّ حبُّ الشَّهواتِ من النِّساءِ؛ لأنَّ اللَّفْظَ العامَّ قَدْ يَرِدُ مقرونًا بما يدلُّ على تخصيصِهِ[1].

نُكْتَةُ تَعْلِيقِ التَّزْيِينِ بِالنَّاسِ:

تَكْرِيمُ اللهِ تَعَالَى لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، بما يستحقّون من تبجيل وتفضيل

عُلِّقَ التَّزيينُ بالنَّاسِ في قولِ اللهِ سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ دونَ تعليقِهِ بالَّذينَ آمنوا؛ لأنَّ قولَه سُبحانه بعدُ: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يُومِئُ إلى أنَّ ما ذُكِرَ قَبْلُ ليس له عاقبةٌ حميدَةٌ، فنُزِّهَ أهلُ الإيمانِ عَنْ أَنْ يُخصُّوا بما قد يُتَوَهَّمُ مِنْهُ مَنْقَصَةٌ لهم.

بَلَاغَةُ الْإِيجَازِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾:

تَزْيِينُ الْمُشْتَهَيَاتِ سَبَبٌ فِي حُبِّهَا وَافْتِتَانِ النَّاسِ بِهَا

في تعليقِ التَّزيينِ بالحُبِّ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ إجراءٌ للكلامِ على خلافِ ما يقتضيه الظَّاهِرُ؛ لأنَّ المُزَيَّنَ للنَّاس هو الشَّهواتُ نفسُهَا لا حُبُّها، فإنَّها إذا زُيِّنَتْ لهمُ المشتهَياتُ؛ أحبُّوهَا، وذلك أنَّ حُبَّ شيْءٍ مَا ينشَأُ عَنِ استحسَانِه، فقولُه تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾، فيه إيجازُ قَصْرٍ؛ إذ الجملةُ أَغْنَتْ عَن أن يُقال: زُيِّنَ للنَّاسِ الشَّهَواتُ، فأحبُّوها.

ويحتَمِلُ أن يكون ﴿حُبُّ﴾ من قَوْلِه سُبْحَانَه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ مصدرًا باقيًا على دِلالَتِهِ المصدريَّةِ أو مصْدَرًا مرادًا به اسمُ المفعولِ، فعلى الأوَّلِ يكون نائبًا عن مفعولٍ مطلقٍ يُرادُ به تبيينُ نوعِ التَّزيين، وأصلُ الكلام: زُيِّن للنَّاسِ الشَّهواتُ حُبًّا، فحُوِّلَ المصدرُ، وأضيفَ إلى نائبِ الفاعل، فصارَ هو النَّائبَ عَنِ الفاعل، كما جُعِلَ المصدرُ مفعولًا في قولِه تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ [ص: 32].

وعلى الوجهِ الآخَرِ: وهو أن يكونَ مصدرًا مرادًا به اسمُ المَفْعُولِ،

(1) البسيلي، التَّقييد الكبير، ص: 466.

يكُون معنى قَوْلِه تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ﴾، أي: زُيِّنَ للنَّاسِ محبوبُ الشَّهواتِ، أي: الشَّهواتُ المحبوبَةُ[1].

بَرَاعَةُ الْكِنَايَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ﴾:

خَفَاءُ المَضَارِّ وَظُهُورُ المَحَاسِنِ مِنْ أَسْبَابِ انْسِيَاقِ النَّاسِ وَرَاءَ الأشياء

فِعْلُ التَّزيينِ في قَوْلِه تعَالَى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ﴾ يجوزُ أن يكون كنايةً عن لازمٍ معناهُ، وهو إقبالُ النَّفْسِ على ما في الشَّيْءِ المُزيَّنِ مِمَّا يُستحْسَنُ مع سَتْرِ ما فيه مِن الضَّرر، "فَعُبِّر عَن ذلك بالتَّزْيين، أَيْ: تَحْسين مَا لَيْسَ بخالِصِ الْحُسْنِ، فَإِنَّ مُشْتَهَيات النَّاس تَشْتَمِلُ علَى أمورٍ مُلَائمَةٍ مَقْبُولَة، وقد تَكُون في كَثِير مِنْهَا مضَارُّ، أشدُّهَا أنَّها تَشْغَلُ عَنْ كمَالَاتٍ كثيرَةٍ؛ فَلِذَلِكَ كانت كالشَّيء المُزيَّنِ تُغَطَّى نقَائِصُه بالمُزَيِّنَات"[2].

سِرُّ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ﴾:

سرُّ ذَمِّ المُبَالَغَةِ فِي اتِّبَاعِ المُشْتَهَيَاتِ، وَالحِرْصِ عَلَى الِاسْتِمْتَاعِ بِهَا

﴿ٱلشَّهَوَاتِ﴾ مِن قَول الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ﴾، يجوز أن تكونَ من باب المَصْدَر المرادِ به اسمُ المفعُول، على طريقةِ المَجَاز المرسَلِ، وعلاقَتُهُ: التَّعلُّقُ الاشتقاقيُّ؛ لأنَّ المذكوراتِ في قوله: ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ مشتهيَاتٌ لا شهواتٌ، إلَّا أنَّه أُطلِقَ عليها اسمُ الشَّهواتِ على جهةِ المبالغَةِ في شدَّة اشْتِهَائهَا ومحبَّتِهَا والحرصِ على الاستمتاعِ بها[3]، حتَّى كأنَّها نفسُ الشَّهواتِ[4]، والمقصودُ: أنَّهم يحبُّونَ هذه المشتَهيَاتِ، ويرَونَ أنَّ محبَّتَهَا أمرٌ حسنٌ لا غضاضةَ فيه ولا منقصةَ[5].

وفي التَّعبير عَنِ المشتهيَاتِ بالشَّهواتِ إيماءٌ إلى تَخْسِيسِهَا؛ لأنَّ الشَّهْوَةَ لا يُمْدَحُ مُتَّبِعُهَا، ولذا استُعملتِ الشَّهْوَةُ في القرآنِ الكريم في

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتّنوير: 3/179 - 180.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتّنوير: 3/180.
(3) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/342.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 2/14.
(5) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1132.

غير ما يُمْدَحُ، بخلاف الفعل مِنْهَا، وهو (اشْتَهَى)، فإنَّهُ يُستعمَلُ في غير ما يُذَمُّ[1].

دِلَالَةُ حَرْفِ الْجَرِّ ﴿مِنَ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾:

أَثَـــرُ مَـعَـانِي الْحُرُوفِ فِي فَهْمِ مقاصد الْكَلَامِ

حَرْفُ الجرِّ ﴿مِنَ﴾ في قَوْلِهِ تعَالَى: ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ بَيَانيَّةٌ، كالواردَة في قولِهِ تَعَالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحجّ: 30]، فكما أنَّ المرادَ: فاجتنبوا الأوثانَ الَّتي هي رجسٌ، كذلكَ قولُه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾، أي: زُيِّنَ للنَّاسِ حُبُّ الشَّهوات - بمعنى: الْمُشْتَهَيَات - الَّتي هي: النِّساءُ والبَنُونَ... إلى آخرِ المذكوراتِ[2].

نُكْتَةُ تَرْتِيبِ الْمُشْتَهَيَاتِ فِي الآية:

دلالـــة وضـع الْمُـشْـتَـهَـيَـات دَرَجَـــات، فِي شِـدَّةِ الِافْتِتَانِ بِهَا

رُتِّبت الْمُشْتَهَيَاتُ في قولِ اللّه تعالى: ﴿حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ ترتيبًا بديعًا، فقدّ قُدِّم ذكرُ النِّساءِ على البَنينَ؛ لعراقَتِهِنَّ في معنى الشَّهْوَة، ولكَوْنِ الِالْتِذاذِ بِهِنَّ أكثرَ والِاسْتِئْنَاسِ بِهِنَّ أكملَ، وحُبُّهُنَّ فطريٌّ مَرْكُوزٌ في الطَّبيعة البشريَّة، لا يختَلِفُ في ذلك إلَّا مَن فسدَتْ طباعُهُ.

ثُمَّ ذُكِرَ حُبُّ البنينَ بعد حُبِّ النِّساءِ؛ لكونِ البنينَ ثمرةَ الحُبِّ الأوَّلِ، وفي ذِكْرِهم عقيبَ النِّساءِ إشارةٌ إلى المقصد الدِّينيِّ من حبِّ النِّساء، وأنَّه ذريعةٌ إلى الإنجابِ وتكثيرِ سوادِ الْمُسْلِمينَ لا لذاتِهِ.

ثُمَّ ثُلِّثَ بذِكْرِ الأموالِ؛ لِما في المالِ من الفتنَةِ وحصول غالبِ الشَّهواتِ به، ولكونِ المرءِ يرتَكِبُ المخاطِرَ في تحصيلِهِ لِوَلَدِهِ، ولأنَّ حبَّ الإنسانِ الولدَ أعظمُ من حبِّهِ المالَ[3].

وفُرِّعَ على المالِ ذكرُ أصنافِ ما يُتَمَوَّلُ؛ فذُكِرَ الذَّهبُ والفضَّةُ،

(1) حسن عزّ الدّين الجمل، مخطوطة الجمل: 2/407.

(2) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 7/162.

(3) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 7/162. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/19. وأبو حيَّان، البحر المحيط: 3/51. وأبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 2/14. ومحمّد نووي الجاوي، مراح لبيد: 1/115. وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1134 - 1135.

وهي أصلُ الأموال، وبهما يُتَوَصَّلُ إلى سائر المرغوبَاتِ، ثمَّ ذُكِرَتِ الخيلُ المسوَّمَةُ: وهي من مُتَمَوَّلَاتِ الملوكِ، ثُمَّ الأنعامُ: ويتموَّلُهَا أهلُ البادية، ثُمَّ الحرثُ: ويتموَّلُها أهلُ الأَرْيَافِ والقُرَى[1].

فتَرْتِيبُ المشتهياتِ بَدْءًا بالنِّساءِ، ثُمَّ البنِينَ، ثُمَّ الأموال على اختلاف أصنافِهَا؛ هو ترتيبٌ بحسب شدَّة الافتتَانِ بها، فكان في هذا التَّرتيب ضربٌ مِنَ التَّدَلِّي في إيرادِهَا.

بَلَاغَةُ الِاكْتِفَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾:

أهميّة الاستغناء بالإشارة؛ عن التّصريح بالعبارة

ذُكِرَ حُبُّ الرِّجالِ للنِّساءِ، ولم يُذكَرْ حبُّ النِّساءِ للرِّجالِ وافتِتَانُهُنَّ بهم؛ وذلك لنكتَتَيْنِ:

إحدَاهُمَا: أنَّ ذلك مِنْ بابِ الاكتفاءِ، وأنَّ ذِكْرَ حُبِّ الرِّجالِ للنِّساءِ فيه إشارةٌ إلى المحبَّة المتبادَلَة بَيْنَهُما، وما كان مستفادًا بالإشارةِ؛ فإنَّه يُستغنَى فيه عَنِ التَّصريح بالعبارَةِ، وإنَّما اكْتُفِيَ بذكر حبِّ الرَّجُلِ لوجوهٍ:

أحدها: أنَّ حُبَّهُ أوضحُ وأظهَرُ؛ لكونِهِ أشدَّ.

ثانيها: أنَّ حُبَّ الرَّجُل المرأةَ هو الَّذي يُؤدِّي إلى الفِتْنَةِ في مُجْمَلِ أحوالِهِ.

ثالثُهَا: كون الرَّجُلِ هو الطَّالِبَ، والمرأة مجيبة لا طالبة، ثُمَّ هي وإن سبَقَتْ بالحُبِّ في بعض الأحوال؛ فإنَّها تحاوِلُ بَعْثَ الطَّلَبِ في نفسِ مَنْ تُحِبُّ، فيؤولُ الأمرُ بِهَا إلى أن تصيرَ مطلوبةً[2].

والنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ: أنَّه أُخْفِيَ افتتانُ النِّساء بالرِّجالِ سَتْرًا لَهُنَّ، كما أخفى اللهُ تعالى أمر حوَّاءَ عند ذكرِ معصيةِ آدمَ عليه السلام في قوله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: 121].

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 4/36.
(2) محمّد أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1135.

نُكْتَةُ الِاقْتِصَارِ عَلَى ذِكْرِ الْبَنِينَ دُونَ الْبَنَاتِ فِي الآية:

رَغْبَةُ النَّاسِ فِي الذُّكُورِ الشِّداد، لَا يناقض الْمَحَبَّةَ لِجميع الْأَوْلَادِ

نُصَّ على حبِّ البنين دونَ البناتِ في قَوْلِه تعَالَى: ﴿حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾؛ لعدَمِ الاطِّرادِ في محبَّتِهنَّ[1]، ولأنَّ حُبَّ الذَّكَر أكثرُ من حبِّ الأنثَى عند كثيرٍ مِنَ النَّاسِ[2].

ويجوزُ في هذه الآية وجهانِ آخران:

أحدهما: أنَّه لم تُذكر البناتُ اكتفاءً بذِكْرِ البنين، والمعنى: حبُّ الشَّهوات من النِّساء والبنين والبنات، واقتُصِرَ على ذِكْرِ البنين لكونِ العرب يَرَوْنَ في كثرتهم نصرةً وفَخَارًا، ولأنَّ المقصودَ من الآيةِ ذكرُ كُلِّيَّاتِ المشتَهَيات، وذلك حاصلٌ بذِكْرِ البَنِينَ.

والآخَرُ: أنَّ المرادَ بالبَنينَ ما هو أعمُّ مِنَ الذُّكورِ؛ لأنَّ الابن يُطلَقُ على الذَّكر والأنثى مجازًا مرسلًا، بعلاقةِ التَّقييد والإطلاق؛ ووَجْهُ ذلك: أنَّ الابنَ في الأصل هو الوَلَدُ مقيَّدًا بالذُّكوريَّة، ثُمَّ أُطْلِقَ عن هذا القَيْدِ، فبَقِيَ دالًّا على الوَلَدِ الشَّاملِ للذَّكرِ والأنثى، فمحبَّةُ البنين في الآيةِ – على هذا الوجه – تشمَلُ الذُّكورَ والإناثَ؛ وذلك أنَّ "محبةَ الولَدِ بَعْدَ وِلَادَته أمرٌ فِطريٌّ لَا فرقَ بينَ ذكرٍ وأُنْثَى، وإن كان الكَثِيرُون يَرْغَبُون في الذُّكور دون الإناث، فإنَّ ذلك لَا ينفي المحبَّة الفطريَّة لأولَادِه جَميعًا، والعربُ أنفسُهُم كانوا يُحبُّون بناتِهم وإن كانوا لَا يَعْتَزُّون إلَّا بالبنين... فالأولادُ جميعًا ثمرَاتُ القلُوبِ وقُرَّةُ الأعين"[3].

بَرَاعَةُ الْكِنَايَةِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾:

شِـدَّةُ افْـتِـتَـانِ النَّاسِ بِالْأَمْوَالِ، من الفتن الثِّقال

في قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ كنايةٌ عن المالِ الكثيرِ[4]، ومن طريقة العرب إذا أرادُوا بيانَ الكثرةِ والمبالَغَة؛ أن يَصِفُوا الشَّيءَ بما يُشتقُّ مِنْهُ، فَقَوْلُهُ سُبحانه: ﴿وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾،

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 2/14.
(2) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 7/162.
(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1136.
(4) البسيلّي، التَّقييد الكبير، ص: 469.

أي: القناطيرُ المضاعفةُ الكثيرةُ المجموعُ بعضُهَا إلى بعضٍ قِنْطَارًا قنطارًا، وهذا كقولِ العَرَب: دَرَاهِمُ مُدَرْهَمَة[1].

والقناطيرُ في ذاتِهَا تعنِي: المالَ الكثيرَ، وبُولِغَ في كثرتِهَا بوصفِهَا بالمقنطَرَةِ، وفي هذا: دِلالةٌ على تَغَلْغُلِ حُبِّ المالِ في قُلُوبِ النَّاس، حتَّى إنَّهم لا يكتفونَ بالقِنطارِ والقَنَاطِير، حتَّى تَكُونَ مُقْنَطَرَةً، كما قال النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ؛ لَابْتَغَى ثَالِثًا»[2].

وبَيْنَ ﴿وَٱلْقَنَـٰطِيرِ﴾ و﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ جِنَاسُ الاشْتِقَاقِ.

دِلَالَةُ مُرَاعَاةِ النَّظِيرِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾:

الجمعُ بين الذَّهب والفضَّةِ في قَوْلِه تَعَالى: ﴿وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾ فيه مراعاةُ النَّظير؛ إذ كلٌّ مِنْهُما نقدٌ وثمَنٌ لِلْأَشيَاء، وفي الجمعِ بينَهُمَا إيماءٌ إلى شدَّةِ حُبِّ الإنسانِ للمَالِ، حيث إنَّه لم يَكْتَفِ بحُبِّهِ الذَّهبَ مع كفايَتِهِ وعظيمِ قِيمَتِهِ، حتَّى ضمَّ إلى ذلك الفِضَّةَ، رَغْبَةً منهُ في اسْتِيعَاب أصنافِ الأموالِ.

شِـــدَّةُ حُـــبِّ الإِنْسَانِ لِلْمَالِ، غريزة لافكاك له منها

نُكْتَةُ الْمَجَازِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾:

الحَرْثُ في قول الله تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ هو الغِراسُ والزَّرعُ، وذلك أنَّ الحرثَ في الأصل مصدَرٌ يُرادُ به: إثارةُ الأرضِ ووضعُ البذرِ فِيهَا وغَرسُهَا، وليس هذا المراد مِنَ الحرثِ في الآيَةِ، وإنَّما المرادُ الشَّجَرُ والنَّباتُ ونحوُهَما، فأُطْلِقَ السَّبَبُ، وأُرِيدَ المُسبَّبُ، فهو مِنْ باب المجاز المرسَلِ، بعلاقةِ السَّبَبِيَّة[3].

تَـعَـلُّـقُ الـنَّـاسِ بِمَا تُنْبِتُهُ الْأَرْضُ عَظِيمٌ منذ فجر التّاريخ

ويحتَمِلُ أن يكون الحَرْثُ مرادًا به المحروثُ، مجازًا مرسَلًا بعلاقة التَّعلُّقِ الاشتقاقيِّ، وإنَّما سُمِّيَ اسمُ المفعولِ بِالْمَصْدَرِ مبالَغَةً فيه وفي محبَّتِهِ.

(1) طنطاوِيّ، التَّفسير الوسيط: 2/48.
(2) البخاريّ، صحيح البخاري، الحديث رقم: (6436)، ومسلم، صحيح مسلم، الحديث رقم: (1048).
(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1138.

سَبَبُ عَدَمِ ذِكْرِ اللِّبَاسِ فِي جُمْلَةِ الْمُشْتَهَيَاتِ مَعَ أَنَّهُ مِنْهَا:

الشَّهْوَةُ باللِّبَاسِ تَتَعَلَّقُ بِأَخَصِّهِ مِمَّا يَحْصُلُ بِهِ كَمَالُ الزِّينَةِ

عُدِّدتِ المشتهياتُ في قولهِ سُبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾، ولم يُذكَرِ اللِّباسُ مع أنَّ النَّاسَ تشتَهِيهِ، وفي ذلك ثلاثُ نِكَاتٍ[1]:

أحدها: أنَّ اللِّباسَ أمرٌ ضروريٌّ لكلِّ النَّاس، فلا تتعلَّقُ الشَّهْوَةُ إلَّا بأخصِّهِ، وهو ما يَحصُلُ به كمالُ الزِّينَةِ دونَ ما يحصُلُ به أصلُ السَّتْرِ.

ثانيهَا: أنَّ ذِكْرَ الأنعام والحرْثِ يُغْنِي عن ذِكْرِ اللِّباسِ، من جِهَةِ أنَّ مَلْبَسَ الإنسانِ يُؤْخذُ مِنْهُمَا.

ثالثُهَا: أنَّ اللِّباسَ يُشْتَرَى بالنَّقد مِنَ الذَّهب والفِضَّةِ، فذكرُهُما مُغْنٍ عن التَّنصيص عَلَيْهِ.

بَرَاعَةُ أُسْلُوبِ التَّقْسِيمِ فِي تَعْدَادِ الْمُشْتَهَيَاتِ:

اسْتِيعَابُ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ لِأُصُولِ مُتَعِ الْحَيَاةِ

في قولِ اللهِ تَعَالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ إشارةٌ إلى أنواعِ المُتَعِ جميعًا، ففي ذِكْرِ النِّساءِ إشعارٌ بمُتعة الصِّلَةِ بين الرَّجُلِ والمرأة، سواءٌ أكانت المُتعةُ جسديَّةً أم روحيَّةً، وفي ذلك إيماءٌ إلى الأسرةِ الَّتي هي قوامُ المجتمَعِ.

وفي ذِكْرِ البَنِين إشارةٌ إلى بقاء النَّوْعِ الإنسانيِّ والاعتزازِ بالقبائِلِ والعشَائِرِ.

وفي ذِكْرِ المال إيماءٌ إلى الحاجاتِ الإنسانيَّةِ الَّتي يُعَدُّ المالُ أساسًا لهَا.

وفي ذِكْرِ الخَيْلِ إشعارٌ بالجهاد في نُصرة الحقِّ، وأنَّه لا تُحْمَى الجماعةُ إلَّا بقوَّةِ السِّلاحِ.

(1) البسيلّي، التَّقييد الكبير، ص: 469. وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1138.

وفي ذِكْرِ الْأَنْعَام والحَرْثِ إشارةٌ إلى أُصُولِ الْإِنْتَاجِ، ففي الآية أسلوب التَّقسيم؛ إذْ قَد استُوعِبَتْ مُتَعُ الحياةِ بإيرادِ هذهِ الْأُمورِ، وهي أصولُهَا الدَّالَّةُ على ما سِوَاهَا[1].

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾:

اسْمُ الإشَارَةِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ من قَوْلِه تعالَى: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ دالٌّ على البُعْدِ، وهو يُشيرُ إلى المذكورِ مِنَ المشتهياتِ، وفي الإشَارة إليها بالْبُعْدِ إشعارٌ بخِسَّةِ إخلادِ النَّاسِ إليها؛ لكونِ الاسْتِرْسَالِ في اتِّبَاعِها تقطَعَهُم عنِ الدَّار الآخرة[2].

الْإِغْرَاقُ فِي تَتَبُّعِ الْمُشْتَهَيَاتِ تَقْطَعُ الْعَبْدَ عَنْ سَيْرِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى

سِرُّ الِاقْتِصَارِ عَلَى وَصْفِ هَذِهِ الْمُشْتَهَيَاتِ بِكَوْنِهَا مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا:

حَكَمَ اللهُ سُبحانه على المشتهياتِ المذكورةِ بأنَّها متاعُ الحياةِ الدُّنيا، فقال تعالَى: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، ولم يُذْكَر أنَّها متاعُ الآخرةِ، مع أنَّ من تزوَّج؛ ليكثِّرَ سوادَ المسلمين، أو أنفق مالَه في سبيل اللهِ تعالى، أو كسَبَ الخَيْلَ لِلْجهادِ؛ كلُّ ذلك من مُتَعِ الآخرةِ ووُصْلَةٌ صالحةٌ إليهَا؛ لأنَّ الحكمَ في الآية الكريمة بأنَّ هذه الْمُشْتَهَيَاتِ متاعُ الحياة الدُّنيا إنَّما هو من جهةِ التَّزيينِ والشَّهْوَةِ فحسبُ[3].

قَدْ تُجْعَلُ الْمُشْتَهَيَاتُ وَصْلَةً إِلَى تَحْصِيلِ الثَّوَابِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ

نُكْتَةُ تَقْدِيمِ الظَّرْفِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾:

قُدِّم الظَّرْفُ ﴿عِندَهُۥ﴾ من قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾، وأصلُ التَّركيب: حسنُ المآبِ عِنْدَهُ، والقصدُ مِنْهُ: تَشريفُ هذا المرجعِ وتعظيمُهُ، والمرادُ به الجنَّةُ، ولا يُرادُ بهذا التَّقديمِ القصرُ؛ لأنَّ اللهَ تعالى عِنْدَهُ شرُّ المآبِ: وهو العقوبةُ بالنَّارِ[4].

جعل اللهُ تَعَالَى الْجَنَّةَ ثَوَابًا لِلْمُطِيعِ، وَالنَّارَ عِقَابًا لِلْعَاصِي

دِلَالَةُ التَّوْكِيدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾:

في قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ توكيدٌ بتَكْرَار

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1139.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 4/273.
(3) البسيلّي، التَّقييد الكبير، ص: 469.
(4) البسيلّي، التَّقييد الكبير، ص: 469.

التَّرْغِيبُ فِيمَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِنَ النَّعِيمِ المُمتعِ الدَّائِمِ

الإسنَادِ؛ لأنَّ عِنْدِيَّةَ حُسن المآبِ أُسنِدَتْ إلى الاسْمِ الأحسن ﴿وَٱللَّهُ﴾، وأُسندَت أيضًا إلى الضَّمير العائدِ إليهِ، وفي هذا مزيدُ توكيدٍ وتفخيمٍ وعنايةٍ بالتَّرغيب فيما عِنْدَ الله تعالى منَ النَّعيمِ الحسنِ الدَّائمِ[1].

دِلَالَةُ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ الْمُرَكَّبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾:

تَوْجِيهُ الْعِبَادِ إِلَى الزُّهْدِ فِي الْمُشْتَهَيَاتِ الْفَانِيَةِ، من مقاصد القرآن العالية

قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ جملةٌ خبريَّةٌ، يُرادُ بها التَّحريضُ على استبدالِ ما عند الله تعالى مِن اللَّذَّاتِ الحقيقيَّةِ الدَّائمةِ بالشَّهواتِ النَّاقصةِ الزَّائلة[2].

وفِيهِ الإيماءُ إلى أنَّ ما ذُكِرَ من الْمُشْتَهَيَاتِ لا تَتَمَحَّضُ فيه العاقبةُ الحميدَةُ[3].

❁ الْفُرُوقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

الْحَرْث وَالزَّرْع:

الفرقُ بينَهما: أنَّ الحرثَ: بذر الحَبِّ مِنَ الطَّعام في الأرض، بخلاف الزَّرع: فَهُوَ نَبْتُهُ إلى أَنْ يبلُغَ، فالحَرْثُ هو المبدأُ، والزَّرْعُ هُوَ الْمُنْتَهَى، ويدلُّ على ذلك قولُ اللهِ تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الواقعة: 63 - 64].

الْمآب وَالْإِيَاب:

يُستعمل الإياب للدِّلالة على مطلق الرُّجوع، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: 25 - 26]، بخلاف المآب؛ فلا يُرادُ منه مطلقُ الرُّجوع، بل هو المنقَلَبُ الَّذي يؤولُ إليه النَّاسُ: إمَّا إلى الجنَّةِ وإمَّا إلى النَّار، فمُنْقَلَبُ أهلِ الإيمانِ الجنَّةُ، كما قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: 14]، وقال

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 2/15.
(2) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 2/8.
(3) إسماعيل حقّي، روح البيان: 2/10.

تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [ص: 40]، ومُنْقَلَبُ أهل الكُفْرِ النَّارُ، كما قال ﷻ: ﴿هَـٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾﴾ [ص: 55]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾﴾ [النَّبأ: 21 - 22].

ففي مآب أهل الجنَّة والنَّار معنَى الذَّاتِ؛ لدلالتِهِ على مكانَةِ كلٍّ مِنْهُم، فَضْلًا عن دلالَتِهِ على نهايةِ أعمالهم[1].

(1) الدّوري، دقائق الفروق اللغوية، ص: 269.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 4 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-55-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 4 : سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-55-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»